آفاق فكرية
مجلة آفاق فكرية
ص. ص. 03 - 13
رت م د :2353 - 0367
رت م د إ: 2602-5507

لا يقينية الواقع وإيكولوجيا الفعل عند إدغار موران

- نحو استراتيجية تعقيدية لتعديل الوسائل وتغيير الغايات -

The uncertainty of reality and the ecology of action by Edgar Moran
-Towards a complex strategy of adjusting means and changing goals-

بن يمينة كريم محمد Karim Med BENYAMINA [1]

- جامعة مولاي الطاهر، سعيدة، karimmedb@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2020/01/07 تاريخ القبول: 2020/03/22 تاريخ النشر: 2020/11/01

الملخص: يسعى **إدغار موران** إلى فهم الأزمة وإصلاح التفكير من خلال اقتراح استراتيجيات منهاجية وعقلانية لتفسير الظواهر الاجتماعية وربطها بالبيئة [الإيكولوجيا] وكذلك باعتماد اللايقين طبيعة تتصف بها الأشياء، وقبول التعقيد كتفكير يتطابق مع الواقع المركب، بغية تحقيق التناغم بين إرادة الفعل وحقيقة المعرفة، **فهل يمكننا هذا التفكير من تجاوز الأزمة؟ أم هو أزمة في حد ذاته؟.**

الكلمات المفتاحية : اللايقين، الواقع، الإيكولوجيا، الفعل، التفكير، المعرفة، الحيطة، السياق.

Abstract: **Edgar Moran** seeks to understand the crisis and reform thinking by proposing systematic and rational strategies to explain social phenomena and link them to the environment [ecology] as well as the adoption of uncertain nature of things, and accepting complexity as thinking corresponds to the complex reality, in order to achieve harmony between the will to act and the reality of knowledge, **can we Thinking of overcoming the crisis ? Or is it a crisis in itself ?**.

Key words Uncertainty, Reality, Ecology, Act, Thinking, Knowledge, Precaution, Context.

[1] المؤلف المرسل: بن يمينة كريم محمد، الإيميل: karimmedb@yahoo.fr

مقدمة:

تُشكل فلسفة "**إدغار موران**" استراتيجية لمباحثة موضوعات: الموت والحياة والبيئة والطبيعة والتفكير والعقل والتقنية .. باعتبارها براديغمات متجددة تخضع لابستمولوجية التعقيد، والتي تندرج بدءا ضمن تخصصات: الأركيولوجيا والميتودولوجيا والأنثروبولوجيا في تتبع الهويات والمنظومات البشرية نحو كشف المغالطة والمخاطرة والهاوية، واكتشاف الترياق Antidote الذي ينقل الأفكار من معرفة الإنسان إلى إنسانية المعرفة.

يَقود "**الواقع**" الذهن إلى عوالم المعرفة تحت وطأة الأزمة في تعيين اليقين، فالحاجة إلى الإنعتاق تقود العقل نحو انتهاج "**اللايقين**" كمخرج ابستيمي للوقوف على تعقيد الظاهرة، وقصدية السؤال، وقد يرتبط اليقين بالاعتقاد [كمبدأ بالبرهان]، واللايقين بالمعرفة [كشرط بالاستدلال] .. ريثما يجد كل باحث ضالته، فالواقع لا يمنحنا المعرفة، إنما يعطينا المجال للتجريب والتعلم والكشف والقراءة وحتى الخطأ .. لتقوم الخبرات والمكتسبات بعمليات التفسير والفهم والتحليل والنقد.

يَتناغم "**الفعل**" مع "**الحياة**" في إنتاج الفهم الذي يليق بالإنسان المعاصر بحثًا عن السلامة والسعادة والصحة تحت تقدير المسؤولية وكذا بقية الأخلاقيات التي تحدد الأولويات، إذ يعد **الفعل** مناسبة لتعديل النسق أو تغيير السياق، وهنا يمكن مطارحة الإشكاليات الآتية: **كيف تسهم إيكولوجيا الفعل في فهم الواقع؟ كيف نستفيد من الفكر المركب في استكشاف المعرفة وتحصيل الحقيقة؟ هل تعد استراتيجية التعقيد ممارسة نقدية لتجاوز أزمة اللايقين؟ هل تسعفنا الإيكولوجيا في تحرير الحياة من غبن التقنية ومن غلبة المصلحة على حساب فطرة الطبيعة؟**

1. إيكولوجيا الأفكار [حياة المعرفة وحرية النقد]:

تَتبنى فلسفة "**المنهج**" (❖) عند **إدغار موران** (❖❖) مشروعًا يجمع موضوعات: الطبيعة، والحياة، والمعرفة، والأفكار، والإنسانية، والقيم ... وذلك قصد إصلاح المعرفة، وكذا إعادة النظر في طرائق التفكير وصولا إلى تغيير الذهن البشري بما يتوافق مع طبيعة المجتمعات الجديدة لضمان استمرارية الإنسان في بيئته التي تليق به، وتنسجم مع خلقه وكونه، لذا يقترح **إدغار موران** فكرة "**التعقيد**" والتي «لا يمكن تحديدها إلا بطريقة سلبية: ومعقدة هي ما ليس بالبسيط، وهذا في حد ذاته ليس بسيطا، التعقيد إذا هو الذي لا يختزل في القوانين البسيطة، وإلى الأسباب البسيطة، وإلى الأمر البسيط» [1]، فالمعرفة ليست بسيطة، حتى وإن ظهرت كذلك، وحاجتنا إلى المعرفة بقدر ما هي حاجتنا إلى الحرية والنقد لتجاوز الأزمات والارتقاء بالفهم إلى مستويات من التعقل والتدبير المحكم في ظروف من الإمكان والمتاح.

يَتضح هذا **التعقيد** من خلال الخلط بين الليل [السواد] والضباب [العتمة]، بسبب غياب الوضوح [النهار]، فالعَالَم حسب **موران** لا يخضع لمنظومة بسيطة ومتناغمة أو نظام متكرر وآلي، بل الحقيقة متوحشة ومعقدة، «إننا موجودون في لعبة غير مضمونة/وخاضعة لمبدأ الصدفة، للتقهقر/التقدم، موجودون في الآن الواحد في الثورات الوحشية والتقهقرات المتوحشة، إننا موجودون في الليل والضباب، في سُخْرٍ من دون شكل، ورحم يكون الدم الموجود فيه والذي يغذينا مختلطًا بالقذارة» [2]، فتنسجم بذلك فكرة اللعبة مع استراتيجية التعقيد، فلا يمكن إقصاء الشر والتوحش والخطر والخطأ ... لكن في مقدور العارف أن يفهم هذه الظواهر وأن يتعايش معها بكل حرية واستقلالية وأمن وقوة.

تُعد "**الإيكولوجيا**" فهما مغايرا بوصفها «علمًا جديدا، إذ تعتبر البيئة معقدة حيث تشكل التفاعلات بين الأجزاء نظاما عالميًا تتأثر صفاته (الظاهرة) بأجزائه، إنه أول علم يبعث العلاقة بين الإنسان والطبيعة، من خلال الكشف عن علاقتنا بالحياة والموت والمحيط الحيوي، إنه يجبرنا على إعادة التفكير في كوكبنا، وربط مصيرنا به، وإعادة التفكير في أنفسنا أيضا» [3]، ففهم الظاهرة في بيئيتها يؤكد ذلك التعقيد من جهة، ويضمن الانفلات من الأزمة، وحين نقارن بين "**بيئية الأفكار**" و"**إيكولوجيا الأفكار**" فإننا نقف على الفروقات الآتية:

إيكولوجيا الأفكار	بيئية الأفكار
«لكي يحظى علم الاجتماع **المعرفة** بقدر من **فرص الحقيقة**، يجب أن يكون قادرًا على تصور **الشروط الاجتماعية** لفرص **الحقيقة**. لذا يجب على علم اجتماع **المعرفة** أن يضع مشكل إمكانيات **استقلال المعرفة**، وبالتالي مشكل شروط انبثاق **النقد الحر والموضوعية والعقلانية**، من غير أن نعتقد إثر ذلك أن هذا يبت في **حقيقة المعارف** التي تنتج عن هذه **الشروط**» [4].	«لكي تحظى سوسيولوجيا **المعرفة** ببعض **إمكانات الحقيقة** يجب عليها أن تكون قادرة على إدراك **الشروط الاجتماعية** لإمكانات **المعرفة**. وبهذا المعنى ينبغي على سوسيولوجيا **المعرفة** أن تتساءل عن إمكانات **استقلالية المعرفة** ومعها أيضًا عن شروط بروز **النقد الحر والموضوعية والتعقل** ولكن دون النظر في أن ذلك قد يبتّ في **حقيقة المعارف** التي تنشأ في مثل تلك **الظروف**» [5].
إدغار موران **المنهج: معرفة المعرفة، الأفكار [ج3/4]** ترجمة: يوسف تيبس	إدغار موران **المنهج: الأفكار: مقامها، حياتها، عاداتها وتنظيمها [ج4]** ترجمة: جمال شحيّد، مراجعة: موريس أبو ناضر

يَستدرك **جمال شحيّد** في "**الثبت التعريفي**" وهو ملحق في الجزء الثالث من كتاب "**المنهج**" الموسوم بـ "**معرفة المعرفة**" حين يعتبر «**تعقلية/تعقّل** (Rationalité): ما يتحكم به العقل» [6]، ولنا أن نتساءل عن السعي الترجمي بين ملفوظات: فرص/إمكانات، الحقيقة/المعرفة، الشروط/الظروف، والتي تحمل مفارقات في الدلالة والمعنى، حتى وإن اتفقت الترجمتان على الأصل من خلال استبقاء منطوقات: النقد الحر والموضوعية .. والتي تظهر طبيعة الأفكار، إضافة إلى الاستقلالية والمعرفة.

تغدو "**المعرفة اليومية**" في الوعي الثقافي مزيجًا غير متجانس «من الإدراكات الحسية والبناءات الفكرية والثقافية ومن العقلانيات والعَقْلَنات ومن الحدوس الصادقة والكاذبة ومن الاستقراءات المعلَّلة والمغلوطة ومن الأقيسة والمغالطات ومن الأفكار المكتسبة والمبتكرة ومن المعارف العميقة والحِكم العريقة ذات الأصول الغامضة والخرافات الواهية ومن الاعتقادات الراسخة والآراء الشخصية، تكون المعرفة اليومية في الغالب محدودة جدا بالنظر إلى الذات العارفة والعالمة، لكن هذه الأخيرة تكون محدودة جدا قياسا إلى المعرفة الطبيعة الساذجة» [7]، وحين تختلط المعرفة اليومية بالمعرفة العلمية تحت طائل العلوم الإنسانية، ومدى حضور الإنسان كعامل تأثير وتأثر بينها، فإنه يصبح اللايقين نتاجا لكل عملية فكرية، فيعتقد كل مفكر أنه الوحيد الذي يمتلك الحقيقة ويسعى نحو الأنوار وأنّ مهمته إقناع الآخرين بهذه المقولة.

2. الواقع واللايقين [ما يحتمل الحظ يحتمل المخاطرة]:

تُحاول **المعرفة** البحث عن الحقيقة باستحضار "**الواقع**" الذي يشكل منطلقا استقرائيا بامتياز لكل محاولة ابستمولوجية، كما أنّ «قراءة الواقع ليست مسألة بديهية، هذا علاوة على ما رأيناه سابقا من أن الأفكار والنظريات لا تعكس الواقع، بل تترجمه بطريقة غالبا ما تكون غير كافية ومغلوطة، إن واقعنا ليس شيئًا آخر سوى فكرتنا عن الواقع» [8]، وإذا كانت الرياضيات تشق طريقها نحو الحقيقة باعتماد اليقين عن طريق الاستنتاج فإن استقراء الواقع يتطلب اعتبار اللايقين ضرورة معرفية للوصول إلى معرفة الأشياء على حقيقتها، وكذا إيجاد العلاقات والأسباب التي تحكمها.

تَكمن أزمة **الواقع** في وقع الأزمنة من خلال صدام الإنسان بالحياة ومعها، لأننا «نعيش في عصر الخوف والسلبية والأخبار السيئة، فلا سوق للأخبار السارة، لأنه ليس هناك من يهتمون بها (وإن كانت قصص الكوارث الكبرى والتدمير الشامل الزاخرة بالابتهاج والمغامرة شيئًا مختلفًا تمامًا). وهذا هو ما يؤدي إلى الانتشار الشامل للذعر وصناعة الخوف- الأخبار العاجلة التي تعتمد على تعليقات متباينة إلى حد كبير ومتناقضة في الغالب. ومع أن بعض التعليقات تكون ثاقبة ومنطقية أحيانًا، فإن أغلبها هستيرية وسوداوية» [9]، **فاللايقين** في الواقع يقابل **اللابديل** في التفكير، وهو ما يمنح إمكانية التفكير بحرية واستقلالية ووعي، إنه مخرج ابستمولوجي لتجاوز كل يقين باهت وغير صحيح، فالعيش في زمن الأزمة يتطلب الحذر والحيطة من توغل الأخطار والأوهام، إذ أن الواقع يقابله الكثير من التوقع وهذا ما يجعل من لفظ التغيير أفصح حجاجية من كلمة البديل في ممارسة التحرر.

يَعتقد المفكر أنه في مقدوره التخلص من اللايقين، وهو بذلك أشبه بالمريض الواهم، «على الفكر إذن أن يتعود على، وأن يتسلح من أجل مواجهة اللايقين، إن كل يحتمل الحظ يحتمل المخاطرة، وعلى الفكر أن يعترف بالحظوظ الملازمة للمخاطرات وكذا بالمخاطرات الملازمة للحظوظ» [10]، فيسبق مبدأ اليقين العقل، بينما تتبع استراتيجية اللايقين كل تفكير عاقل.

يُعد "**لايقين المعرفة**" مطلبًا منهجيا واستراتيجية فعلية بامتياز، فـ«ما أكثر مصادر ومسببات الخطأ والوهم التي لا تتوقف عن التجدد داخل المعرفة. وهذا ما يفرض على التربية أن تطرح التساؤلات الكبرى حول مدى قدرتنا على المعرفة. وطرح مثل هذه التساؤلات هو المتنفس لكل عملية بناء للمعرفة. فمثلما كان الأكسجين يقتل الكائنات الحية الأولى إلى أن بدلت الحياة وظيفته بأن حولته إلى مخلص من الانسمام» [11]، فمثلما يفسد اليقين المعرفة البسيطة، في مقابل اللايقين الذي يعتمد على التعقيد في، لذا علينا أن نختار المنهج الذي يحقق لها المعرفة الصائبة والتي تراعي بيئة الأفكار، فالضروري اعتبار المعرفة مركبة ومعقدة، وأن الواقع يتوق إلى المغامرة والقطيعة والحذر.

يترتب عن **قراءة الواقع** الكثير من المخاطر والانفلاتات والمغالطات، فنحن «نعلم أن احتمالات الوقوع في الخطأ والوهم عديدة ومتجددة، هناك أولا الأخطاء النابعة من الخارج الثقافي والاجتماعي والتي تعيق تحقق الاستقلال التام للفكر، وتمنع ممارسة البحث عن الحقيقة. هم هناك الأخطاء النابعة من الداخل والثاوية أحيانا في أجود أدواتنا المعرفية والتي تجعل العقول تنخدع حول نفسها بنفسها» [12]، فيقتضي الاستقلال المعرفي الانتصار للتعقيد من جهة وللايقين من جهة أخرى، فلا خوف مع الشك ولا مشكلة في الرفض والدحض بتجاوز التناقض والترفع عن التضليل والاعتقاد الفاسد.

يتأثر "**المشكل المعرفي**" بالاعتقادات التي ترافق الواقع، فـ«كم من العذابات والضلالات سببتها الأوهام والأخطاء على مر التاريخ البشري وبشكل مرعب في القرن العشرين. وهذا ما يجعل المشكل المعرفي قضية أنتروبولوجية وسياسية واجتماعية وتاريخية» [13]، فالإنسان حين يفكر بيقين مع الواقع فإنه يقع في الكذب على ذاته، لأن اليقين يأتي كمرحلة أخيره في التفكير العلمي، ولا يتصدر العملية العلمية، فأكبر وضوح يرافق الإنسان العاقل ألا يرى الأشياء واضحة، بل يترصده في عمليات الصراع الحيوي.

يقترح **جون ديوي** أن البحث عن اليقين لا يكمن في الإيمان بالفن القائم على العاطفة والاعتقاد، وإذا كان اليقين في الأصل سلام مضمون، وهو أيضا بحث «عن أمر لا يتصف بالخطر ولا يظلله الخوف الذي يلقيه العمل. وليس اللايقين من حيث هو كذلك هو الذي يبغضه الناس، بل ما يقحمنا فيه الريب من أخطار الشرور. ولو كان في الريب الذي إنما يؤثر في تفصيلات النتائج التي نجربها ضمان للذة، ما كان مؤلما لاذعا، بل كان مصدرًا لحماسة المخاطرة ولذة التعدد. أما البحث عن يقين كامل فإنما يتحقق في المعرفة الخالصة وحدها» [14]، بينما يؤكد **إدغار موران** أن السبيل إلى المعرفة يكون بالاعتراف باللايقين واعتبار "**التعقيد**" حقيقية، فمن حق الإنسان أن يشك ويحذر، لكن ما فائدة الشك إذا لم يتبعها يقين، أو على أقل تقدير اعتبار أن اللايقين هو إمكان لتجاوز الشك أثناء الشك نفسه.

3. إيكولوجيا الفعل [نحو استراتيجية التعقيد]:

تَحمل لفظة "**الإيكولوجيا**" Écologie دلالة عناصر "**علم البيئة**" إثمولوجيا، بما تشير إليه من علاقات الكائن [حيوان، نبات] بالحياة والمحيط والوسط والطبيعة في توازن وتلاؤم وتناغم وتأثر وتنظيم، وكذا تبادل للوظائف البيولوجية والمهام الوجودية، وتحيل كلمة "**الفعل**" l'Acte (Action) إلى الطبيعة في حركتها وتدافعها وحريتها وتفاعلها مع بقية الأشياء، وقد «نشعر أحيانا بأن الفعل يختزل الأمور، لأننا عندما نوضع بين خيارين نختار ونحسم، حقا إن الفعل تعبير عن قرار، وعن اختيار، لكنه أيضا

عبارة عن مراهنة، وفي صلب مفهوم المراهنة، يحضر الوعي بالمخاطرة وباللايقين» [15]، فطبيعة الفعل أن يقبل التصدي والتصدير والمغامرة في جو من التحرر والتحرك، و"**الفعل**" «عبارة عن استراتيجيا، لا تشير كلمة استراتيجيا إلى برنامج محدد مسبقا يكفي تطبيقه بنفس الشكل وعلى طول الزمن، إن الاستراتيجيا تسمح، انطلاقا من قرار بدئي، بتمثل مجموعة من السيناريوهات من أجل الفعل، وهي سيناريوهات قابلة للتغيير بحسب المعلومات التي تظهر مع مسار الفعل، وبحسب كذلك الصدف التي تنبعث وتخل بالفعل» [16]، فحين يرتبط الفعل [الممارسة] بالبيئة [الواقع]، فإن اللايقين مطلب معرفي في كل ممارسة معرفية تستدعي حضور الإنسان العاقل الكاشف والمشاهد الذي يستقرئ الواقع ولا ينحاز له.

يُشير **إدغار موران** ضمن توسيم "**انفلات الفعل عن مقاصدنا**"، فـ«هنا تتدخل مقولة إيكولوجيا الفعل، فما أن ينخرط فرد ما في فعل، كيفما كان، حتى يبدأ هذا الفعل في الانفلات من مقاصده، يدخل هذا الفعل في كون من التفاعلات، وفي نهاية المطاف يقوم الوسط بإلقاء القبض عليه وتوجيهه وجهة قد تكون مخالفة لمقصده الأصلي، غالبا ما يرتد الفعل على رؤوسنا ككيد ينقلب علينا، وهذا ما يفرض علينا متابعة الفعل ومحاولة تصحيحه - إذا لم يكن قد فات الأوان- وتدميره في بعض الأحيان، تماما كمسؤولي وكالة الفضاء الأمريكية الذين يقومون في بعض الأحيان، عندما تخرج مركبة عن مسارها، بإرسال مركبة أخرى لتفجيرها» [17]، فحين ينفلت الفعل عن "**القصدية**" فإنه يتشظى عن مهمته وينقلب لينتصر لليقين الخافت والباهت والهش.

يُحدد **إدغار موران** مفهوم "**إيكولوجيا الفعل**" بقوله: «إن إيكولوجيا الفعل تعني إجمالا الأخذ بعين الاعتبار تعقد الفعل، وما يحيل إليه من احتمالات، ومصادفات، ومبادرات، وقرارات، ومفاجآت، كما يتطلب الوعي بالانحرافات والتحولات» [18]، لذا فمن إرادة الفعل توقع التعقيد والحذر من مغالطة الواقع ومفارقة الاعتقاد في صحة وسلامة التفكير.

تتضمن نظرية "**إيكولوجيا الفعل**" لدى إدغار موران ثلاثة مبادئ متعلقة باللايقين [19]:

حلقة المخاطرة ← الحيطة	حلقة الغايات ← الوسائل	حلقة الفعل ← السياق
التناقض	التداخل	الانحراف

1.3. حلقة المخاطرة ← الحيطة:

يتطلب مبدأ اللايقين **الحيطة** إذ «يمنح من الضرورة المزدوجة للمخاطرة وللحيطة، فبصدد كل فعل نقوم به في وسط لا يقيني، نجد ثمة تناقضا بين مبدأ المخاطرة ومبدأ الحيطة، مع العلم أن كل واحد منهما ضروري، يتعلق الأمر بإمكانية الجمع بينهما على الرغم من تناقضهما» [20]، لذا تقتضي المخاطرة مراعاة الحيطة في اللايقين.

2.3. حلقة الغايات ← الوسائل:

تشكل الوسائل والغايات عائقا معرفيا يسهم في زيادة اللايقين «فبما أن الوسائل والغايات تؤثر على بعضها البعض، بشكل تفاعلي وارتدادي، فإننا نكاد نجزم أن لا مناص من كون استخدام وسائل دنيئة من أجل تحقيق غايات نبيلة يفسد هذه الأخيرة، بل قد يفضي الأمر إلى أن تحل الوسائل محل الغايات، إن الوسائل المسخرة لتحقيق غايات تحريرية، يمكن أن تصيب عدواها لا فقط الغايات، بل قد تصبح الوسائل غايات في حد ذاتها» [21]، هذا التداخل يؤكد على لايقينة الفعل وتعقيدية المعرفة.

3.3. حلقة الفعل ← السياق:

يخضع الفعل لإرادة صاحبه «ما إن يندرج في إطار لعبة التفاعلات الارتدادية، المتعلقة بالوسط الذي يقع فيه هذا الفعل، ذلك هو المبدأ الخاص لإيكولوجيا الفعل، فالفعل يكون معرضا لا فقط للفشل، ولكن للتحول وللانحراف عن معناه الأصلي، بل يمكن أن ترتد عاقبته ضد الذين بادروا للقيام به» [22]، وبذلك ينحرف الفعل عن إيكولوجيته.

وتوصلنا هذه الحلقات إلى **نتائج الفعل**، والتي يمكن أن تحدد في العناصر الثلاثة الآتية، حسب **هيرشمان** [23]:

السلبية	غير المجدية	الضارة
التأثر السلبي (فالتأثير السيئ وغير المنتظر، أكثر أهمية من التأثير المؤات والمأمول).	لا جدوائية التجديد (فكلما اعتقدنا أن هنالك تغيير، إلا وكنا أمام نفس الشيء).	وضع المكتسبات السابقة موضع خطر (كنا نطمح نحو مجتمع أفضل، لكننا لم نعمل سوى على إلغاء الحريات والأمن).

يَلتحق "**التعقيد**" بـ"**الفعل**" في عمليات التأثير والتأثر، فكلما كانت المعرفة مركبة، وفق استراتيجية اللايقين، كلما تمكنا من تجاوز هذه السلبية واللاجدوائية، وتفادينا الضرر الذي يلحق بالأفكار ويحقق الأخطار الرابضة بالواقع من خلال المجتمعات في غياب الحرية والأمن، إذ «يفترض الفعل التعقيد، أي الاحتمال، والصدفة والمبادرة، والقرار، والوعي بالانزلاقات وبالتحولات. تتعارض كلمة استراتيجيا مع كلمة برنامج، إذ يفضل استعمال البرنامج عندما يتعلق الأمر بمتواليات تتموضع داخل وسط قار ...» [(24)]، هذه المعرفة الموضعية [والموضوعية] عبارة عن براديغم مغاير للانتقال من "**لايقينية الواقع**" إلى "**لايقينية الفعل**"، و«لمواجهة لايقينية الفعل، يجب أن نقوم باختيار قرار ما مفكر فيه جيدا، ويجب أن نعي بالمراهنة، كما يجب أن نضع استراتيجية تأخذ بعين الاعتبار مختلف التعقيدات الملازمة للغايات التي نتوخاها، والتي من الممكن أن تتعدل أثناء القيام بالفعل تبعا للمصادفات، وللمعلومات، وللتغيرات التي يشهدها السياق والتي من الممكن أن تكون قادرة على نسف الفعل الذي قد يتخذ مسارا هداما، كما يمكننا، بل يتوجب علينا، أن نحارب كل لايقينيات الفعل، بل يمكننا أن نتجاوزها على المدى القصير أو المتوسط، لكن لا أحد بإمكانه أن يدعي إلغاءها على المدى البعيد، إن الاستراتيجية، مثل المعرفة، هي عبارة عن إبحار في لج محيط من اللايقينيات مرورا بأرخبيلات من اليقينيات» [(25)]، لتظل المعرفة متلبسة باللايقين حتى تحمي مبادئها، وتضبط أخلاقياتها، وتحافظ على صدقها، «فينبغي لنا أن نقلع عن الحلم بعالم يكون لنا التحكم فيه، وقد رأينا كيف أن الجراثيم والفيروسات تدلنا على أنها تخرج وقد ازدادت قوة بفعل تلك الأشياء نفسها التي كان يُسعى بها إلى القضاء المبرم عليها» [(26)]، ورغم كل هذه الاحتياطات في اعتبار اللايقين سلوكا معرفيا ومنهجيا واستراتيجية للتغيير والبناء، فإنه يبقى الخطر يحذق بكل عملية فكرية، والواقع يحمل المخاطر والمجازفات على الدوام، وهي دعوة صريحة إلى التفكير بعمق وإرادة في تطوير القدرات والارتقاء بالفهم والتفسير والتحليل نحو مراتب الأمان من خلال إيجاد وعي إنساني جديد يؤمن بالخير والحلم والصلاح.

خاتمة:

يَرتبط الإيمان بالبرهان اليقيني، بينما يتشكل اللايقين لبناء المعرفة، فالأمر لا يعد تناقضا في التفكير بل استراتيجية تسبق الفعل، في حين نستثمر الفعل [الواقع] لفهم وتقبل اللايقين في مجابهة مخاطر وأزمات [البيئة] مع المحافظة على الأخلاقيات التي تتخذ من الإيتيقا مبدءا يرافق الممارسات العلمية ويؤسس لبيوايتيقا جديدة تنسجم مع طبيعة التفكير ومتطلبات العيش.

تنظر **أركيولوجيا المعرفة** إلى الأفكار من جهة الواقع وكيف نشأت وانتقلت، فهي في أغلب الظروف تخضع لبيئة من العادات والتقاليد والاعتقادات [المسكن، التنظيم، الطبيعة، التنظيم ...]، التي تتحكم في ظهورها وانحسارها، وليست وليده المعرفة والتعقل، فالأفكار هي في الأصل شبكات من العلاقات بين الإنسان ومجتمعه وثقافته وبيئته التي يحيا بها ويعيش فيها، ويمكن لنا أن نتوصل إلى هذه الاستنتاجات:

- أهمية تعميم الأركيولوجيا منهجا واشتغالا في الانتقال من فلسفة الكلام [الخطابات] إلى تطبيقات الفعل [البراكسيس].
- ضرورة إعطاء الأولية للبيئة في فهم السياقات وتحديد المدلولات.
- أهمية اعتبار التعقيد مبدءا ابستمولوجيا لتجاوز الأحكام المسبقة والمعرفة اليومية.
- قيمة اللايقين في قراءة الواقع، واستراتيجية الفعل كأركيولوجيا في استقراء الظواهر وتتبعها.

الاحالات و الهوامش:

* - يتضمن مشروع "**المنهج**" (1977- 2004) لإدغار موران ستة أجزاء وهي: **أولا/ طبيعة الطبيعة** [*La nature de la nature*] (1977). **ثانيا/ حياة الحياة** [*La vie de la vie*] (1980). **ثالثا/ معرفة المعرفة** [*La connaissance de la connaissance*] (1986). **رابعا/ الأفكار: مقامها، حياتها، عاداتها وتنظيمها** [*Les idées: Leur habitat, leur vie, leurs mœurs, leur organisation*] (1991). **خامسا/ إنسانية الإنسانية: الهوية الإنسانية** [*L'humanité de l'humanité*] (2001). **سادسا/ الأخلاق** [*Ethique*] (2004).

** - إدغار موران ***Edgar Morin***: مفكر وباحث وفيلسوف فرنسي، من مواليد 8 جويلية 1921 بباريس، من أهم مؤلفاته: **عالم ألمانيا صفر** (1950)، **الإنسان والموت** (1951)، **النجوم** (1957)، **النقد الذاتي** (1959)، **ضوضاء أورليان** (1969)، **نجوم السينما** (1972)، **فيدال وعائلته** (1989)، **الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب** (1991)، **تربية المستقبل "المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل"** (1999)، **الثقافة والبربرية الأوروبية** (2005)، **التجوال** (2006)، **أين يسير العالم** (2007)، **طريقتي** (2008)، **يوميات** (2013)...

1. Robin Fortin, **Comprendre la complexité -Introduction à la Méthode d'Edgar Morin-**, Edition l'Harmattan, Paris, 2000, p. 18.
2. إدغار موران، **إلى أين يسير العالم؟**، ترجمة: أحمد العلمي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص. 67.
3. Edgar Morin, **La Voie –Pour l'avenir de l'humanité-**, Edition Fayad, Paris, 2011, p. 96.
4. إدغار موران، المنهج: معرفة المعرفة، الأفكار [ج3/4]، ترجمة: يوسف تيبس، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط.1، 2013، ص. 257.
5. إدغار موران، المنهج: الأفكار: مقامها، حياتها، عاداتها وتنظيمها [ج4]، ترجمة: جمال شحيّد، مراجعة: موريس أبو ناضر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط.1، 2012، ص. 23.
6. إدغار موران، المنهج: معرفة المعرفة : أنثروبولوجيا المعرفة [ج3]، ترجمة: جمال شحيّد، مراجعة: موريس أبو ناضر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط.1، 2012، ص. 352.
7. إدغار موران، المنهج: معرفة المعرفة، الأفكار [ج3/4]، مصدر سابق، ص. 252.
8. إدغار موران، تربية المستقبل - المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل- ، ترجمة: عزيز لزرق الحجوجي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002، ص. 79.

9. زيجمونت باومان وليونيداس دونسكيس، الشر السائل - العيش مع اللابديل- ، ترجمة: حجاج أبو جبر، تقديم: هبه رؤوف عزت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط.1، 2018، ص. 25.
10. إدغار موران، تربية المستقبل - المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل- ، مصدر سابق، ص. 85.
11. المصدر نفسه، ص. 31.
12. المصدر السابق، ص. 32.
13. إدغار موران، تربية المستقبل - المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل- ، مصدر سابق، ص. 33.
14. جون ديوي، البحث عن اليقين، ترجمة وتقديم: أحمد فؤاد الأهواني، المركز الوطني للترجمة، القاهرة، مصر، ط.2، 2015، ص. ص. 32- 33.
15. إدغار موران، تربية المستقبل - المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل- ، مصدر سابق، ص79.
16. إدغار موران، الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، ترجمة: أحمد القصوار ومنير الحجوجي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط.1، 2004، ص. 79.
17. المصدر نفسه، ص. ص. 80- 81.
18. إدغار موران، تربية المستقبل - المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل- ، مصدر سابق، ص. 80.
19. المصدر السابق، ص. ص. 81- 82.
20. المصدر نفسه، ص. 81.
21. إدغار موران، تربية المستقبل - المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل- ، مصدر سابق ، ص. 81.
22. المصدر نفسه، ص. 81.
23. المصدر نفسه، ص. 82.
24. إدغار موران، الفكر والمستقبل مدخل إلى الفكر المركب، مصدر سابق، ص. 81.
25. إدغار موران، تربية المستقبل - المعارف السبع الضرورية لتربية المستقبل- ، مصدر سابق، ص. 84.
26. إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية؟، ترجمة: عبد الرحيم حزل، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط. 1، 2012، ص. ص. 172- 173.